العرب
الأربعاء 2020/07/29
السنة 43 العدد 11776

خيمة «مسرح التحرير» فضاء فني عراقي يؤسّس لثورة فكرية وثقافية

تعدّ خيمة "مسرح التحرير" أحد أبرز الأعمدة الفكرية والفنية التي أسّست لمسرح قريب من العراقيين الأحرار، والملتزمة بالدفاع عن طريق الفن الرابع، عن انتفاضة أكتوبر 2019، وأهدافها الرئيسية، والتذكير بقيم إنسانية كاد يفقدها المجتمع.

حنان مبروك
صحافية تونسية

لم تكن الفنون على اختلافها شاهدا سلبيا على انتفاضة العراق وصراخ شعبها في وجه الظلم والفساد والاستبداد، بل سارع المثقفون العراقيون المؤثرون في مجالات مختلفة إلى إثبات حضورهم في ساحة التحرير وتأكيد دورهم التثقيفي والتغييري ضمن مجريات الأحداث.

وخيمة "مسرح التحرير"، هي من هذه الفضاءات التي عرفت نشأتها مع اتخاذ أربعة مسرحيين عراقيين؛ هم: السينوغراف علي محمود السوداني والمخرجان المسرحيان باسل الطيب وكحيل خالد وتحرير الأسدي، مكانا ضمن المحتجين علّهم يلتقون فيه مع عشاق المسرح في جلسات نقاشية حول الوضع العراقي والمبادرات الممكنة لحلّ أزماته الداخلية.

ثمّ تطوّرت المبادرة لتصبح خيمة، نصبها عشاق الفن الرابع بعد جمع التبرعات، ثم حالفهم الحظ أن كان لهم "تكتك" من بين مجموعة العربات الصغيرة التي رافقت إيجابيا ثورة امتدّت لأشهر وها هي تعود مجددا.

ومن فضاء مختص بالمسرح، يرتاده جمهور من أصدقاء المسرحيين، كبر الحلم تدريجيا وصارت الخيمة فضاء متكاملا يوفّر للمحتجين متنفسا فنيا عبر العروض المسرحية اليومية والورشات التكوينية والمسابقات المسرحية واللقاءات النادرة مع نجوم عالم التمثيل.

> أصحاب المبادرة يسعون إلى أن تكون الخيمة فضاء يحتفي بالمسرح وأهله ويؤسّس لمرحلة جديدة من تاريخ العراق

يقول المسرحي كحيل خالد، وهو أحد أصحاب المبادرة، في تصريح لـ"العرب"، "إنّ العروض المسرحية الملتزمة كانت بمثابة مفاجأة وصدمة للجمهور العراقي المنتفض في ساحة التحرير، ذلك الجمهور الذي اعتاد على العروض التجارية الجماهيرية، فصدم بنوعية عروض مسرحية تغوص في أعماق الذات البشرية وأزماتها التي عانت منها لسنوات، أزمات جعلت كل همّه ينصبّ على الاقتصاد والسياسة والمشاكل الاجتماعية متناسيا أهمية الفعل الثقافي في بناء الشعوب والأوطان".

وأضاف "كان الجمهور في نهاية كل عرض يهتف بالروح بالدم نفديك يا عراق"، الأمر الذي أجّج انتماءه لوطنه، وهو العراقي الذي عاصر بعضا من الأحداث التي تردد فيها هذا القول على أرض الواقع، حتى أنه هاجر هربا من شبح الموت الذي حرم عراقيين كثرا من وطنهم.

ولم ينس الرُباعي المشرف على "مسرح التحرير" أبناء وطنه من المبدعين الذين بلغ صيتهم مسارح العالم الكبرى، بل كرّمت خيمة مسرح التحرير كلّ الأعمال المسرحية القيّمة والمسرحيين العراقيين الذين توّجوا خارج بلاد الرافدين في مهرجانات عريقة مثل أيام قرطاج المسرحية، وذلك للتعريف بهم بين الشباب الفضولي.

ويحكي كحيل خالد عن بداية هذه التجربة "كان مستوى الخطاب المسرحي عاليا جدا، حتى أنه خلق فجوة بين المسرحيين والشباب المشارك في الانتفاضة، هناك فارق كبير بين المستوى الفكري للعراقي سابقا وعراقي اليوم، حتى أننا قرّرنا مع الضيف الثاني أن يكون موضوع حلقة النقاش ملتزما بالحديث عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع العراقي، وبلغة مسرحية بسيطة".

ومن هناك باتت خيمة مسرح التحرير فرصة وتمرينا لأعضاء الفريق المسرحي المشرف عليها، لدراسة خصائص جمهورهم المحبّ للمسرح والراغب في اكتشافهم حيث يعتبر جزءا مؤثرا في الانتفاضة العراقية، وكذلك لاكتشاف مواقفه ونمط تفكيره السائد ورؤيته للقضايا الكبرى، بل مكنتهم اللقاءات المباشرة والدورية من دراسة انفعالات هذا الجمهور وتفاعله مع العروض المسرحية وفكّ شيفرة ذائقته الفنيّة.

وفي هذا السياق، يوضّح كحيل "جمهور الخيمة لم يكتف فقط بحضور العروض المسرحية ومواكبة الحلقات النقاشية بل بادر أيضا بالمشاركة في ورشات تكوينية لتأطير ممثلين مسرحيين هواة، وتطوير موهبتهم من على مسرح خيمة التحرير، وتوّجت هذه الورشات بعد ساعات من الجهد والتعلّم بإنتاج أعمال مسرحية مقتبسة من رحم معاناة العراقي اليومية، عُرضت جميعها أمام المنتفضين في ساحة التحرير، وتوّج فيها الطلبة المتفوقون، بتصويت من الجمهور.

ومن يتأمل في تاريخ المسرح العراقي، قد يجد وجه شبه بين خيمة مسرح التحرير والنوادي والتجمعات المسرحية التي ظهرت في العراق بعد الاحتلال البريطاني وتحديدا خلال الفترة التي سبقت 1921، متسترة بالنشاطات الاجتماعية والثقافية العامة.

لكنها في جوهرها كانت تعمل من أجل إذكاء الروح الوطنية وتأجيجها ضد المحتل، فقد لعبت تلك النوادي دورا في إنعاش النشاط المسرحي، الذي اتخذته سلاحا في جهادها ضد الغزاة الإنجليز، وكانت خيمة التحرير دافعة همم الشباب العراقي للالتزام بمطالب الانتفاضة وعلى رأسها استقلال العراق عن أي نفوذ خارجي والتفكير في سبل ناجحة لبناء عراق مستقرّ آمن يُراهن على كفاءة أبنائه في كافة المجالات.

وحلّت أزمة كورونا، التي جمّدت الحراك الثقافي الطبيعي في دول العالم، حتى أنها ساهمت في توقّف جزئي للاحتجاجات العراقية وفرض الحظر على روّاد خيمة مسرح التحرير أن يهجروها في انتظار عودة قريبة، ورغم المحاولات الجزئية لإقامة ورشة أو اثنتين في المسرح إلا أن الوضع العام لم يسمح باستمرار المبادرة التي تعتبر ناجحة في جمع شمل عدد كبير من محبي الفن الرابع وجذب انتباه محبين جدد والتأثير فيهم بما يجعلهم شغوفين بأب الفنون.

وعن هذه الخطوة إلى الوراء أعرب كحيل خالد في ختام تصريحه لـ"العرب" عن أمله في أن يكبر حلم الخيمة ليصبح مؤسسة مسرحية تحيي ثقافة ارتياد المسارح ومواكبة الفعاليات الفنية بطقوس مميزة بين العراقيين.

تجربة فنية عراقية عرقلتها أزمة كورونا

المحاكاة الساخرة تفجّر موجات ضحك من السينما القديمة

«ليلتكم سعيدة»: مسرحية مصرية تتقاطع فيها الخيانة مع السياسة

وجد العمل المسرحي المصري "ليلتكم سعيدة" المعروض حاليا بالقاهرة في نهاية الأربعينات فترة ثرية لإسقاطها على الواقع الحالي، ورصد تغيرات منظومات القيم والعيب والتقاليد عبر العصور، مع مساحة واسعة للمحاكاة الساخرة للسينما والدراما القديمة وطريقة افتعال الممثلين في أداء أدوارهم خلالها.

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

سخرية من ثقافة السيلفي

القاهرة - يمثل العمل المسرحي "ليلتكم سعيدة" للمخرج والمؤلف خالد جلال، توليفة من المحاكاة الساخرة "بارودي" للدراما والسينما المصرية القديمة بطريقة أدائها المفتعلة، مع مزجها بمقارنات مضحكة للتغيرات العنيفة في ثقافة العيب والعادات والتقاليد بين العصور وتحكماتها في ممارسات البشر.

وتستمد المسرحية، التي تمثل تعاونا بين مسرح المواجهة والتجوال والبيت الفني للمسرح، فكرتها الأساسية من قصة "فتاة الكورس" للكاتب الروسي أنطون تشيخوف، لكنها قدّمت معالجة مختلفة تتجاوز كثيرا قضية الخيانة الزوجية وإجبار الزوجات على التسامح من أجل أبنائهنّ، إلى تشابكات رمزية مع الفساد السياسي والمالي لطبقة الأثرياء وانغماسهم في الملذات.

وتدور المسرحية حول "فريد" (الفنان محمد أحمد علي) الذي تربطه علاقة عاطفية بالراقصة درية (الفنانة بسنت صيام) لا يتجاوز عمرها الزمني أسبوعا واحدا، ويتعرضان لقدر كبير من الابتزاز المالي لمنع فضح رابطتهما من مخبر سري مزعوم، وصاحبة بيت أزياء عريق، قبل أن يتبيّن في النهاية وقوع الراقصة في براثن عصابة متخصّصة في الاستيلاء على أموال فنانات الاستعراض يتزعّمها عشيقها.

تلميحات مشفرة

يحمل العمل الذي تم تقديمه بالتزامن مع الاحتفال بذكرى ثورة يوليو 1952 نوعا من التقريظ للفترة السابقة عليها ومظاهر الفساد الاقتصادي والسياسي، فالراقصة تلتقي عددا من أصحاب السلطة والنفوذ، وتطوف بهم محال الملابس والمجوهرات الفاخرة، وتبتزّ جيوبهم الممتلئة بقدر ضئيل من الدلال واللين اللفظي ومداعبة غرائزهم.

ويعطي العرض تلميحات مشفرة وسريعة عن نهاية عصر طبقة "الباشوات" الذي استمر لقرن كامل تملكوا فيه كل شيء، بدءا من السلطة والمال والسياسة، فلقب "الباشا" كان في الغالب معادلا لوزير سابق أو مرشحا محتملا للوزارة، ولم تمنع المكانة الاجتماعية حامليه من إقامة شبكة علاقات مع راقصات شارع عماد الدين، الشهير بوسط القاهرة، وكشفهم لأسرار الدولة في أسرة المتعة الحرام.

وتمكن مؤلف العمل ومخرجه خالد جلال، من خلق صورة للحياة في نهاية الأربعينات بديكور يجسد المرحلة الزمنية، وأثاث يعبر عن ثراء مجتمع الراقصات في حينه، ومراعاة النشاط الفني المواكب للفترة الزمنية بالتطرق لأعمال الفنان علي الكسار وفرقته، وأغاني "حرج عليّ بابا" لسيد درويش، والفساتين الواسعة المزركشة والقبعات النسائية أوروبية الطراز، والطرابيش الرجالية الحمراء.

وتخلق المفارقات قدرا من استدرار الضحك في العمل، كتأكيد المخبر السري على امتلاكه لمجموعة صور لعلاقة العشيقين التقطها خلسة بفضل آخر صيحات التكنولوجيا ونتاج العلم الحديث الذي يتيح له تصوير العملاء دون معرفتهم ليفصح عن كاميرا ضخمة يضعها في حقيبة للسفر، أو تأكيد البطل على تأخّر الوقت ورغبته في العودة للمنزل بعدما أصبحت الساعة السادسة والنصف مساءً.

يشعر المشاهد أنه أمام تقليد ساخر لطريقة تمثيل الفنانين يوسف وهبي ومحمد عبدالوهاب بطريقة الحديث التي تتضمّن قدرا من الألفاظ الصعبة وشجن على مواقف تبدو بسيطة للغاية، وطريقة الحوار بين العشيقين بعبارات محفوظة في التراث السينمائي المصري القديم على غرار: "ارحم عذابي"، "أتوسل إليك"، "تكاد الأفكار تقتلني"، "اعذري اندفاعي لأني أمام جمالك.. أفقد صوابي".

وتتضمّن المسرحية "مورالا" أخلاقيا يتعلق بالطمع الذي كان الغشاوة التي أعمت عيون الجميع، فالراقصة التي تحيطها هدايا الأغنياء من كل صوب أعمتها ادعاءات زوجة البطل شكرية (الفنانة مريم السكري) ببيعه أطيانا زراعية لوضعها تحت أقدامها وغامرت بثروة كبيرة من أجل اصطياده، والعصابة ذاتها رفضت نصيحة قائدها بالاختفاء عن الأنظار فترة حتى تهدأ نار العملية الأولى، واتقاء شرّ العلاقات التي تربط مجتمع الراقصات ببعضهنّ، فكان مصير الأشقياء السجن المشدّد 15 عاما.

> مريم السكري جذبت الأنظار بطريقتها التلقائية في العمل الشبيه بأسلوبها المعتاد في أعمال السيتكوم التي تخصّصت فيها منذ انطلاقتها الفنية

ونجحت المسرحية في توظيف الموسيقى لصالح إثارة الضحك في المفارقات المستمرة بالعمل، بالاعتماد على إعداد موسيقي مستوحى من الموسيقار المصري ـ اليوناني أندريه رايدر في فيلم "الرجل الثاني" لرشدي أباظة، والتي جاءت مع بعض المواقف البسيطة لتعطي إحساسا بالمفارقة بين سخونة أحداث العمل الأصلي وتوظيفها في أحداث بسيطة مثل تلقي الزوج اتصالا هاتفيا من زوجته وهو في بيت العشيقة، فيخرّ صاعقا من الرعب.

ويعتبر الكذب الخطيئة الكبرى التي لا يمكن غفرانها، فالعشيقة التي تبيع الهوى تتلعثم حينما تطالبها زوجة العشيق أن تقسم بالله على عدم وجود علاقة بينهما وتحذّرها من عقوبة الحنث باليمين يوم الدين، والزوج ينتفضّ بعد وصفه بالكاذب ولم يتخذ الموقف ذاته حين وصف بالخائن، وهو الدائم التردّد على أماكن العاهرات وبائعات الهوى.

واعتمدت المسرحية على التناقضات بين الفضيلة والخيانة، بتقسيم المسرح إلى جزأين أحدهما في اليمين لمنزل الزواج الطاهر المليء بدفء الحب ورائحة الطعام، وفي اليسار بيت الخيانة ببرودته ووحشته حتى لو كان عامرا بأفخم الأثاث وزجاجات النبيذ والفاكهة المستوردة، وبين الصورة الذهنية للزوجة الوفية التي تصحو فجرا لخدمة أسرتها ورعايتها، وفي المقابل العشيقة التي تسهر للفجر لبيع الهوى لمن يمنح أكثر من الهدايا والأموال والألماس.

ورفضت المسرحية الالتزام كثيرا بالنص الأصلي الذي يجعل المرأة المتزوجة كيانا ضعيفا يركع تحت أقدام راقصة استعطافا لها لترك زوجها لأسرته وأبنائه، لكنه حافظ على جعل العشيقة المتضرّرة الأولى من العلاقات الآثمة، فتظل دائما عرضة للمقارنة بينها وبين الزوجة الأصلية في الطهر والعفة والتضحية.

ويسخر العرض بشكل غير مباشر من انتشار ثقافة التقاط صور "السيلفي" في جميع تفاصيل الحياة اليومية للأجيال الجديدة وما تتضمنه من مخاطر، فزعيم العصابة، الذي يهرب من الراقصات في كل مرة بادعاء تعرّضه للقتل على يد زوجته يرفض مزاولة عملية نصب على راقصة جديدة دون التقاط صورة جماعية مع عائلته، والتي كانت سببا في دخولهم جميعا السجن بعدما رأتها إحدى ضحاياه في محل لتحميض الصور في وسط القاهرة، ووشت لصديقها من أصحاب النفوذ فكلّف الأمن بضبطه.

تهييج الذكريات

لا يخلو عرض "ليلتكم سعيدة" من تهييج ذكريات الماضي بذكر تفاصيل انزوت في حياتهم منذ عقود بطريقة تغليف الملابس القديمة، وأسماء عطور أجنبية اندثرت مثل "أنوثة"، وسلاسل تجارية لا يزال بعضها موجودا مثل "عمر أفندي"، وفتح المجال للتندّر بين الماضي حينما كانت ملتقى لصفوة المجتمع، وحاضرها الذي لا تواجه فيه شبح التصفية وتعجز عن جذب الزبائن لتصريف منتجاتها المعروضة.

محمد أحمد علي أتقن التعبير بلغة الجسد عن الهزات النفسية لمجتمع الرجال

خالد جلال تمكن بالديكور والملابس من تجسيد مرحلة الأربعينات جيدا

وتمتد السخرية من فكرة الأسماء وتوصيفاتها، كاسم فريد الذي ظل مفضلا لأبطال أعمال الأربعينات مثل أنور وجدي، ومحسن سرحان، واعتبرته اسما حديثا ومستحدثا يجذب الفتيات ويوقعهم في حبال صاحبه من الوهلة الأولى، كذلك الحال بالنسبة لـ"شوشات" الذي ظل ملازما للسينما المصرية لعقود كماركة مسجلة لأصحاب بيوت الأزياء أو الملاهي الليلية ومعناه في اللغة أعلى رأس الببغاء.

وتعتبر المسرحية مباراة تمثيلية بين الفنان محمد أحمد علي الذي عبّر بلغة الجسد عن الهزات النفسية لمجتمع الرجال حينما يتعرضون لخطر الابتزاز والتهديد بالفضيحة، ومريم السكري التي جذبت الأنظار بطريقتها التلقائية في العمل الشبيه بأسلوبها المعتاد في أعمال "السيتكوم" التي تخصّصت فيها منذ انطلاقتها الفنية.

ويرى العمل أن المرأة في أي عصر وفي كل مكان، تذوب عشقا في الكلام المعسول عن الحب، فالراقصة نسيت خسارتها 800 جنيه مصري (تعادل قيمتها في حينه ثلاثة كيلوغرامات من الذهب الخالص) في ساعات قليلة أمام عبارات "أنا أحبك.. قلبي يهواك.. أصبحت أسيرا لحبك منذ أن رأيتك".